القرآن الكريم ودوره في عالمية اللغة العربية*

Hasan MORAD**
Charif MURAD***

الملخّص

القرآن الكريم كتاب منزَّل من عند الله تعالى، وقد تكفل بحفظه بقوله:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ سورة الحجرالآية:9، ونزل باللغة العربية فبحفظه تحفظ اللغة العربية حتى يتحقق وعد الله تعالى، وأثبت التاريخ أن القرآن الكريم حفِظَ هذه اللغة من التقلبات، وصانها من الاندثار، وطوَّرها في الاستعمال، فاجتازَتِ المِحَن، وتجاوزت الأزمات. والدَّارس لتاريخ اللغات يجد أن العديد مِن اللغات التي كانت يومًا ما سيدةَ الكونِ، زالَتْ وانقرضت، وحلَّت محلَّها لغاتٌ أخرى، بل وحلت بدلاً عنها بعض لهجاتها، كما أثبتت الكثير من الدراسات التي قامت بها الجامعات الكبرى والمؤسسات العلمية في العالم أن مصير كثير من اللغات الحية اليوم إلى الزوال والضياع، وأن اللغة العربية من بين اللغات العالمية الحية ستحافظ على نفسها، وستسود تلك اللغات؛ والسبب الأهم في استمراريتها هو بقاء القرآن حياً كما نزل، والجدير بالذكر أن هناك أسباب أخرى لذلك منها أسباب اقتصادية أو أسباب نابعة من تنازع وتصارع على السلطة العالمية، بالإضافة إلى الثورة المعلوماتية والتطور التكنولوجي السريع وغيرها. وسيناقش هذا البحث كل هذه الأمور بالتفصيل.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، اللغة العربية، الصراع اللغوي، الانقراض اللغوي، التطور اللغوي.

---

* Makale Geliş Tarihi / Received:05.06.2024 / Makale Kabul Tarihi / Accepted:30.07.2024
** Dr. Hasan MORAD, Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belagati Anabilim Dalı, hsnmrad159@gmail.com , Orcid: 0000-0001-9179-574X
*** Dr. Öğr. Üyesi Charif MURAD, Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Kur'An-I Kerim Okuma ve Kıraat İlmi Anabilim Dalı, charifmurad@hotmail.com, Orcid: 0000- 0001-7778-6871

Arapçanın Evrensel Bir Dil Olmasında Kur'ân-ı Kerîm'in Rolü

ÖZ

Kur'an-ı Kerim, Allah Tealâ tarafından indirilen bir kitaptır. Bu nedenle Allah onu koruyacağını vadetmiş ve şöyle buyurmuştur: "Şüphesiz Zikr'i (yani Kur'an'ı) biz indirdik ve onu biz koruyacağız." Kur'an Arap diliyle indirildiğine göre Cenab-ı Hakk'ın vaadinin gerçekleşmesi için Arap dilinin de korunması gerekir. Zaten tarih de Kur'an-ı Kerim'in Arapça'yı değişip-dönüşmelere karşı koruduğunu, kaybolup gitmesini engelleyerek ileriye taşıdığını ve kullanılmasını sağlayarak geliştirdiğini, böylece karşılaştığı (dilsel) problemleri ve zorlukları aştığını ispat etmektedir. Diller tarihinde araştırma yapan kişi, zaman içinde hüküm süren birçok dilin yok olup tükendiğini ve yerlerini başka dillerin aldığını hatta bazı lehçelerin de onların yerini aldığını görecektir. Dünyanın önde gelen üniversiteleri ve bilimsel kurumları tarafından yapılan araştırmaların çoğu, günümüzde yaşayan birçok dilin akıbetinin yok olmaya mahkûm olduğunu ve yaşayan dünya dilleri arasında varlığını sürdürecek ve bu dilleri etkisi altına alacak dilin Arapça olduğunu kanıtlamıştır. Devamlılığının birinci sebebi Kur'an'ın vahyedildiği günkü haliyle günümüze ulaşmasıdır. Bu nedenlerin yanında bilgi devrimi ve hızlı teknolojik gelişmenin yanı sıra ekonomik ya da küresel güç üzerindeki çatışma ve bu çatışmalardan kaynaklanan pek çok nedenin de etkili olduğu söylenebilir. Bu araştırmada bahsi geçen bütün konular detaylı olarak ele alınacaktır.

Anahtar Kelimeler: *Kur'an-ı Kerim, Arap Dili, Dilsel Çatışma, Dilsel Yok Oluş, Dilsel Gelişim.*

The Holy Qur'an And Its Role In The Universality of The Arabic Language

ABSTRACT

The Holy Qur'an is a book revealed from God Almighty, and he took care of its preservation. He said, "Indeed, We have revealed the Remembrance, and indeed, We will preserve it." And it was revealed in the Arabic language, and by it this language was preserved. History has proven that the Holy Qur'an preserved the Arabic language from fluctuations, preserved it from extinction, and developed it in the future Workers She has overcome adversity and overcome crises. It is noted that many of the leading languages in history have disappeared and become extinct, and have been replaced by other languages, and even some of their dialects have been replaced. Many studies carried out by major universities and scientific institutions in the world have proven that the fate of many living languages today is to disappear and be lost, while the Arabic language is among the languages that preserve themselves. The most important reason for the continuation of this language is that the Qur'an remains alive as it was revealed on the day it was revealed. There are other reasons, including economic ones or stemming from conflict and conflict over global power, in addition to the information revolution and rapid technological development to the end of those reasons. In this research study, all of this will be discussed in detail.

Keywords: *The Holy Qur'an, the Arabic language, linguistic conflict, linguistic extinction, linguistic development.*

تمهيد

عندما يتكلم الناس عن اللغة العربية لا بدّ لهم أن يتكلموا عن الإسلام أولاً؛ لأن اللغة العربية مصدرها الأساسي هو الإسلام بقرآنه العظيم، وسنة نبيه الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، وهذا الكلام فخر لكل عربي ينطق بالضاد، ويريد أن يعتز بدينه وبلغته، وعلى العرب جميعاً أن يدركوا حقيقة يتنكر لها بعض أعداء الدين من الملاحدة والعلمانيين ومن أذيال المستشرقين وهي فضل الإسلام على العرب وعلى لغتهم، فلولا القرآن الكريم لذابت اللغة العربية كما تذوب الثلوج بمجرد أن تتعرض لأشعة الشمس، وفضل الإسلام والقرآن على اللغة العربية وأربابها ظاهر للعيان ولا ينكره إلا جاحد، لقد أثر القرآن الكريم في البشرية قاطبة والأمة العربية خاصة فأثر في أخلاقها وعقيدتها ومبادئها وقوانينها وسائر نواحي حياتها كما أثَّر في لغتها ولهجات أهلها وقبائلها، والتاريخ –وهو أصدق الأدلة الناطقة قبل كل شيء– يشهد بأن اللغات واللهجات تضعفْ وتَمرَضُ بمرور الزمن ثم تموت كما يمرض الإنسان ويضعف ثم يموت، وأبسط مثال على هذا الكلام هو اندثار اللغة اللاتينية التي كانت في يوم من الأيام لغة الحضارة والثقافة والصناعة والفلسفة، ولكنها غابت عن الوجود بكاملها، وأصبحت أثراً بعد عين. ولبيان فضل القرآن ودوره في الحفاظ على اللغة العربية وبقائها وحيويتها، لا بدّ لنا أنّ نبيّن بعض المصطلحات التي لا بد من فهم معناها قبل البدء بالبحث:

أولاً– المقصود بالقرآن لغة: بالعودة إلى المعاجم التي تبين معنى الكلمات نجد أن ابن منظور في معجمه –لسان العرب– يقول:" قرأ: القُرآن: التَّنْزِيلُ الْعَزِيزُ، وَإِنَّمَا قُدِّمَ عَلَى مَا هُوَ أَبْسَطُ مِنْهُ لشَرفه. قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، الأَخيرة عَنِ الزَّجَّاجِ، قَرْءاً وقِراءَةً وقُرآناً، الأُولى

عَنِ اللِّحْيَانِيّ، فَهُوَ مَقْرُوءٌ. أَبو إِسحاق النَّحْوِيُّ: يُسمى كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَنزله عَلَى نَبِيَّهُ، محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابًا وقُرْآناً وفُرْقاناً، وَمَعْنَى القُرآن مَعْنَى الْجَمْعِ، وَسُمِّيَ قُرْآناً لأَنه يَجْمَعُ السُّوَر، فيَضُمُّها. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، .... والأَصل فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ الْجَمْعُ، وكلُّ شيءٍ جَمَعْتَه فَقَدَ قَرَأْتَه. وَسُمِّيَ القرآنَ لأَنه جَمَعَ القِصَصَ والأَمرَ والنهيَ والوَعْدَ والوَعِيدَ والآياتِ والسورَ بعضَها إِلَى بعضٍ".[1]

واصطلاحاً: نجده عند الشريف الجرجاني يقول: "القرآن: هو الوحي المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة، والقرآن، عند أهل الحق، هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها.[2]

وعند علماء علوم القرآن نجد الزرقاني يقول:" أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة:17]، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله. ذلك ما نختاره استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق وإليه ذهب اللحياني".[3]

---

[1] محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، تحقيق، اليازجي وجماعة من اللغويين، بيروت: دار صادر، ط3، ١٤١٤ هـ، 128.

[2] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق، جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، ١٩٨٣م/147.

[3] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، د، ت، 14.

إذاً يمكن أن نقول: إنّ معنى القرآن هو الجمع؛ لأنه يجمع بين دفتيه القصص والأوامر والنواهي والعبر والأخلاق وما إلى ذلك...إلخ، وهو اسم لكتاب الله السماوي الذي نزل على رسول الله محمد بن عبد الله– صلى الله عليه وسلم– مثل التوراة والإنجيل.

المقصود باللغة العربية لغةً: قال ابن منظور:" واللُّغَة: اللِّسْنُ ... وَهِيَ فُعْلةٌ مِنْ لَغَوْت أَي تكلَّمت، أَصلها لُغْوة ككُرةٍ وقُلةٍ وثُبةٍ، كُلُّهَا لَامَاتها وَاوَاتٌ، وَقِيلَ: أَصلها لُغَيٌ أَو لُغَوٌ، وَالْهَاءُ عِوَضٌ، وَجَمْعُهَا لُغًى مِثْلَ بُرة وبُرًى، وَفِي الْمُحْكَمِ: الْجَمْعُ لُغات ولُغونَ".[4]

أما اصطلاحاً: فقد جاء معناها في كتاب الخصائص:" أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".[5]

إذاً يمكننا أن نقول: اللغة هي مجموعة من الأحرف والكلمات عندما تجتمع مع بعضها تصدر عنها أصواتٌ؛ وهذه الأصوات يفهم منها كل قوم حسب ما تعلموه وورثوه عن آبائهم وأجدادهم من المفاهيم والمصطلحات التي تساعدهم على التواصل والتفاعل مع بعضهم، وهي وسيلة للتفاهم بين أبناء الجنس البشري.

ثانياً– لماذا نزل القرآن الكريم باللغة العربية؟

ما الحكمة من نزول القرآن الكريم باللغة العربية؟ أو بشكل آخر لماذا لم ينزل آخر كتاب من بين الكتب السماوية بلغة غير لغة العرب؟

---

[4] ابن منظور، لسان العرب، 252.

[5] عثمان أبو الفتوح بن جني الموصلي، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، بد، ت، 34.

يمكن أن يأتي هذا السؤال من مسلم أو من غير مسلم، وقد صرح القرآن الكريم في أكثر من موضع أن القرآن أُنزل باللغة العربية ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[سورة يوسف:2]، وقوله:﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[سورة الزمر:28]، وقوله:﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[سورة الشعراء:195]، فعند التأمل في مثل هذه الآيات التي أشارت إلى أن القرآن نزل باللغة العربية نفهم أنه قصد إبراز هذا المعنى إلى الوجود. وقد أكثر العلماء من الإجابة عن هذا السؤال ومنهم ابن جني الموصلي إذ يقول:" وشرحت صدورنا لمعرفته من لطائف مودعات لغة نبيك، التي فضلتها على سائر اللغات، وفرّعت بها فيه سامي الدرجات، وخصصت بأشرفها طريقاً وألصقها مسرى وعروقاً، كتابك المنزل على لسان أمينك..."[6]، وقد أجاد ابن فارس أيضاً عندما خصص باباً من كتابه فسماه باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها فقال:" فوصَفه جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان، قال جلّ ثناؤه:﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن:2-3] فقدم جلَّ ثناؤه ذكر البيان على جميع ما تَوَحَّدَ بخلقه وتفرد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشايا المتْقَنة. فلمّا خصّ جلّ ثناؤه اللسان العربي بالبيان عُلمَ أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه".[7]

إذن يفهم من هذا الكلام أن الله عز وجل أنزل القرآن باللغة العربية؛ لأن اللسان العربي لسان البيان، في حين أن سائر اللغات الأخرى قاصرة عن البيان الذي هو في أصله في لسان العرب، وممن ذكر سبب اختصاص نزول القرآن بالعربية الشيخ محمد سعيد رمضان

---

[6] ابن جني، الخصائص، 34؛ والجرجاني، التعريفات، 192.

[7] أحمد بن زكريا بن فارس القزويني الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة محمد علي بيضون، ط،1، 1997م،31.

البوطي أيضاً حيث قال:" اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون اللغة العربية هي لغة الدعوة الإسلامية، وأن تكون هي الأداة المباشرة الأولى لترجمة كلام الله عزّ وجلّ وإبلاغه إيانا. ولعلنا لو أمعنّا في خصائص اللغات وقارنّا بينها، لوجدنا أن اللغة العربية تمتاز بكثير من الخصائص التي يعزّ وجودها في اللغات الأخرى. فأجدر بها أن تكون لغة المسلمين الأولى في مختلف ربوعهم وبلادهم".[8] إذاً فالشيخ البوطي يوضح أن سبب نزول القرآن باللغة العربية عائد إلى خصائصها التي تنفرد بها عن بقية اللغات الأخرى.

وقد أجاب عن هذا السؤال الباحث أحمد طه فرج أيضاً فقال:" أنزل الله القرآن باللغة العربية؛ لأنها وسيلة التفاهم مع من أرسل إليه الرسول أولاً، وبدأت الدعوة في محيطهم قبل أن تبلغ لغيرهم".[9]

وقال الباحث علي الكرمي:" ومثلما أرسل الله عز وجل موسى عليه السلام إلى قومه بمعجزة السحر لأنهم كانوا متقدمين في ذلك، فإن العرب كانوا يتقنون اللغة أشد الإتقان، ومن ثم أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن وهو باللغة العربية، والله تعالى يقول:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[سورة إبراهيم: 4]، فكان من الطبيعي أن يتم نزول القرآن باللغة العربية التي هي لغة النبي محمد- صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، لغة قومه الذين يعيش معهم،... هذا مضافاً إلى أننا لا نشك في أن نزول القرآن باللغة العربية دون غيرها من اللغات لم يكن عفوياً، بل كان لأسباب دقيقة، وهو

[8] محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دمشق: دار الفكر، ط: 38، 2015م، 48.

[9] فرج، موقع الروافد البوابة الالكترونية، تاريخ الوصول، 5/13/ 2024.الرابط:
.(https://www.alwafd.news/2961444#google_vignette/

بكل تأكيد اختيار حكيم لأنه من قِبَلِ رب العالمين، ونحن نؤمن بوجود الحكمة في هذا الاختيار سواءً تبيَّنت لنا أسبابه أم لم تتبين".[10]

أضف إلى ذلك أن اللغة العربية تتميز بمميزات تجعلها مرشحة لتبوء بهذا الشرف من حيث الإيجاز، والجرس الموسيقي، والاشتقاق الصرفي، وتناغم عباراتها، وتناسق جملها، وإمكانية تعريب الألفاظ الواردة، وخصائصها الصوتية.

ولعل أهم الأسباب وأكثر قبولاً عقلاً هو قول الباحث علي الكومي: "لغة العرب أوسع اللغات السامية، فهي الوحيدةُ التي تتَّسع لكثير من المعاني القرآنيَّة، وغيرُها لا يتَّسع لبعضها، فناسَب أن ينزلَ بها القرآن الذي نزل يتَّسع لكلِّ متطلبات الناس جميعًا على اختلاف مشاربهم، ولغةُ العرب هي التي بقِيتْ لا يشوبُها خللٌ؛ لأن العرب كانوا يُقدِّسونَها، ويحافظون عليها، وكانوا في حِرزٍ حَريزٍ من أن يتطرَّق إلى صفائها ما يُكدِّرها، ولعل الله تعالى قد عزَلَهم في ناحية من الأرض في الصحراء بعيدًا عن الحضارة والمدنية؛ حتى لا يطمَع في البقاء معهم مَن ليس منهم مِن العجَم وغيرهم، فتَفسُدَ لغتُهم بسبب المخالطة، ثم شاء أن ينفتحوا على العالم بعد ما نزَل صِمامُ الأمان للغتهم، وهو القرآن الكريم، فوُلِدت اللغةُ ونشأتْ، وتطوَّرتْ خالصةً لأبنائها، نقيَّةً سليمةً مما يَشينُها من أدران اللغات الأخرى".[11]

وممن أجاب عن هذا التساؤل الباحث والمفكر إسلام بن نصر الأزهري فقال:" الجواب: لأن النبي صلى الله عليه وسلم– وهو الذي نزَل عليه القرآن – عربيٌّ، والله تعالى

[10] علي الكومي، موقع AMROHAAL، تاريخ الوصول، 2024/5/13م. الرابط:
https://amrkhaled.net/Story/1004612

[11] الكومي، موقع AMROHAAL، تاريخ الوصول، 2024/5/13م. الرابط:
https://amrkhaled.net/Story/1004612

يقول:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[سورة إبراهيم: 4]، أما لماذا خصَّ الله العربَ بأن نزَّل القرآنُ بلسانهم مع أنه للناس كافَّةً؟! فذلك تشريفًا لهم (وخصائصُهم كثيرةٌ معروفة)، وتكريمًا للسانهم، (وخصائصُه لا تنحصر)، ثم إن اللغة العربية فيها مِن مُقوّمات البقاء، ما يجعلها أبقى اللغات السامية، فناسَبَ أن ينزلَ بها الكتابُ الباقي الخاتم، ولغة العرب أوسع اللغات السامية، فهي الوحيدةُ التي تتَّسع لكثير من المعاني القرآنيَّة، وغيرُها لا يتَّسع لبعضها، فناسَب أن ينزلَ بها القرآن الذي نزل يتَّسع لكلِّ متطلبات الناس جميعًا على اختلاف مشاربهم... فلغتُهم- من حيث خصائصُها – أخصبُ اللغات، وأوسعُها تعبيرًا، وأبقاها زمانًا، وأشرفُها مكانةً، لهذه الأسباب وغيرِها – وهي كثيرة – نزل القرآنُ بلغتهم؛ ولكي يتحدَّى بلاغتَهم، ويكونَ فارس حَلْبةِ مَيدانهم المقدَّس؛ ليتحقق الإعجاز الذي ليس كائنًا على حقيقته، إلا في القرآن بكلماته التي أعجَزت العرب عن معارضتها وهم فُرسانُ الكلمة، وبنَظْمه الذي بَهَرهم وهم عمالقةُ النَّظْم، وبجُمَلِه التي أعْيَتهم عن الكلام، وهم أساتذتُه؛ ليُسرِعوا إلى الإيمان به؛ حيثُ عجَزوا عن معارضته".[12]

ولقد أجاد في هذا المجال الشيخ صالح الكرباسي عندما قال:" مما يثار حول القرآن الكريم من الشبهات هو: إذا كان القرآن كتاباً لكل البشرية، فلماذا أنزله الله باللغة العربية، ولم ينزله بلغة أخرى غيرها؟، وفي الجواب نقول: من الواضح أن نزول القرآن كغيره من الكتب السماوية ـ كان لا بُدَّ أن يكون بلغة من اللغات الحية التي يتكلم بها الناس عصر نزول القرآن، واللغة العربية كانت إحدى أهم تلك اللغات. ومن الواضح أيضاً أنه على أي لغة أخرى ـ غير اللغة العربية ـ كان يقع الاختيار فإن هذه الشبهة كان يمكن طرحها، وحينها

[12] الأزهري، موقع الألوكة الأدبية واللغوية، تاريخ الوصول، 2024/5/13م.الرابط:
https://www.alukah.net/authors/view/home/6314

كان من الممكن أن يقال: لماذا نزل القرآن بهذه اللغة، قال الله عَزَّ و جَلَّ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة فصلت:41]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن أي كتاب سماوي ينبغي أن ينزل بلغة الرسول الذي ينزل عليه ذلك الكتاب، ليتمكن من التعامل معه بصورة طبيعية، ومن هذا المنطلق كان من الطبيعي اختيار اللغة العربية دون غيرها من اللغات، حيث أنها اللغة التي كان يتحدث بها النبي محمد (صلى الله عليه و آله وصحبه وسلم)، كما وأن أي رسول لا بُدَّ وأن يتحدث بلسان القوم المرسَل إليهم، أو المبعوث فيهم، و لقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر حيث قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة إبراهيم: 4/14].[13]

هذه بعض ردود العلماء في المسألة نقلتها لأهميتها، وأظن أن فيما سبق ذكره من الأسباب يكفي أن يعلم الجميع وخاصة المشككين وأتباعهم من الملاحدة والعلمانيين وأذيال المستشرقين لماذا نزل القرآن الكريم باللغة العربية؟!

ثالثاً– اللغة العربية مهددة من الأعداء:

لا شك أن الأعداء لا يوفرون سبيلاً ولا وسيلة لمحاولة القضاء على الأمة الإسلامية، وقد أدركوا أن السلاح والنار لم يعودا يفيان بغرضهم هذا؛ لذا توجهوا إلى طريقة

[13] الشيخ محمد صالح الكرباسي، لماذا نزل القرآن الكريم باللغة العربية، موقع مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية، تاريخ الوصول، 2024/5/13. الرابط:

http://104.199.16.12/ar/authors/%D8%A7%

المكر والخديعة، واستعمال الفكر والأدب في تمزيق أوصال هذه الأمة إلى أشلاء مبعثرة، أي تمزيقها وإن كانت ممزقة بالأصل، فاستخدموا لإنجاح خطتهم هذه نفراً من أبناء جلدتنا ينادون بمحاربة اللغة العربية، وإزالتها من الوجود وإحلال العاميّة، أو الإقليمية أو الشعوبية محلها، وقد قام بهذه الوظيفة الخسيسة مجموعة تبرؤوا من دينهم أولاً ومن لغتهم ثانياً مقابل بعض الدولارات وقد ذكرهم الأديب الإسلامي الغيور على العربية والإسلام عبد الرحمن رأفت باشا في كتابه:" العدوان على العربية عدوان على القرآن" ومن الذين دعّو إلى ترك الفصحى: وذكر منهم سلامة موسى، الذي سار على خطى المبشر الإنكليزي (ويلمور) الذي بدأ دعوته في مصر، ونشرت له جريدة المقتطف، وعملت على التشجيع لدعوته تلك بين الشباب المثقف، ثم تلاه (وليم ولكوكس)، ثم عبد العزيز فهمي، وكان أخرهم سعيد عقل صاحب كتاب(يارا) الذي كتبه بالعامية تشجيعاً لغيره على الكتابة بالعامية وتنفيذا لأمر أسياده، وعند التأمل نجد أنها حقيقةً دعوةٌ إلى القضاء على لغة القرآن، ثم بعد ذلك يأتي دور القضاء على القرآن نفسه، ثم ظهرت فئة أخرى تدعو إلى دراسة الأدب العربي على أساس إقليمي، ثم ظهر من يدعو إلى الاعتناء بالأدب الشعبي ودعا ثالث إلى النحو المبتدع تحت ذريعة تيسير النحو العربي، ودعوة رابعة وخامسة وأخيراً دعوة إلى الإبقاء على الفصحى مع إلغاء الإعراب في آخر الكلم.

وفي هذا الشأن يقول عبد الرحمن رأفت باشا:" ثم تلت الدعوة إلى اصطناع العامية دعوة أخرى لا تقل عنها خطراً ألا وهي الدعوة إلى نبذ الحروف العربية وإحلال الحروف اللاتينية محلها...".[14]

[14] عبد الرحمن رأفت باشا، العدوان على العربية عدوان على القرآن، دار الأدب الإسلامي، 1996، 28.

واليوم تعالت صيحات أخرى وتحت مسميات أخرى تدعو إلى تعليم لغة الأعداء بحجة أنهم أصحاب حضارة وتفوق مادي وتكنولوجي وهذا تحدي كبير يوجه اللغة العربية،" ومن هنا فإن أي تحدٍ لثقافة ما، ينطوي على تحد للغتها، واللغة العربية إحدى اللغات التي تواجه تحديات كبيرة من قبل قوى العولمة المختلفة، المتمثلة في المصالح المادية، الناجمة عن الاتصال الأجنبي، والتأثير الإعلامي القائم على الصخب والضجيج والتبشير باللغة الإنكليزية على أنها العالمية التي هي لغة البشرية. وهذه دعوى باطلة لا تصمد أمام المحك العلمي الصحيح، حتى الناطقون باللغة الإنكليزية أنفسهم يثبتون ذلك، فهذا صمويل هنتغتون يثبت في كتابه "صدام الحضارات" أن القول بعالمية اللغة الإنكليزية ما هو إلا وهم كبير، وخلص إلى القول إن لغة تعد أجنبية لدى 92% من سكان الأرض لا يمكن أن تكون عالمية".[15]

يحتجُّ أولئك النفر بحجج واهية لا تصمد أمام الحق والحقيقة والواقع، فمنهم من يدعي أن اللغة العربية قاصرة عن التعبير عن المحتوى العلمي لبعض مواد التدريس، ومنهم من يدعي أنها لغة قاصرة عن أداء دور التواصل الاجتماعي والتجاري بين الأمم، وأخرون يدعون أن اللغة العربية لغة بداوة تفتقر إلى التجريد ولا تستطيع حمل المصطلحات الحضارية؛ لأنها لغة لا عهد لها بالمخترعات والمكتشفات الحديثة المعاصرة، ولا يخفى على أحدٍ أنها دعوات تحمل في طياتها الكثير من السموم والكذب والافتراءات التي لا أساس لها؛ لأن التاريخ يشهد عكس ما يروّجون له، والحضارة الإسلامية تشهد على بطلان تلك الدعوات؛ ففي العصر العباسي— عصر الازدهار والتقدم– كانت اللغة العربية هي اللغة العالمية التي

[15] محمد يوسف الشربجي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب– دمشق العدد 90 – السنة 23 – حزيران "يونيو" 2003 – ربيع الآخر، 1424.

قام العلماء بواسطتها بترجمة أغلب الكتب من اليونانية والفارسية، وكما ألفوا بها في العلوم كافة من طب وهندسة ورياضيات ...إلخ ذلك. بل التاريخ يشهد والغرب يشهدون أن اللغة العربية هي التي حملت النور إلى أوروبا، فكانت أساس الحضارة الغربية الحديثة التي يتباهون بها اليوم.

رابعاً– علاقة القرآن باللغة العربية

هناك علاقة تلازم بين القرآن واللغة العربية، فلولا القرآن لضاعت اللغة العربية وانصهرت وذابت كما ذابت العديد من لغات العالم، ولا يصح كلام عن اللغة العربية بدون ذكر القرآن الكريم معه، فلقد ترك القرآن الكريم في اللغة العربية بصمة أبدية،" ولما كانت اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم التي تعبدنا الله تعالى بها، وكانت معرفتها وفهمها من الدين وهو فرض، وواجب على المسلمين بحيث يثاب على فعلها وتأثم الأمة بترك تعلمها؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ فقد استمدت اللغة من هذا الحكم بالاهتمام والتقدير والمدارسة على مرّ الأزمان والعصور واختلاف الأوطان والأماكن؛ لهذا فإن اللغة قد حُفظت بحفظ القرآن، واستمدت رقيها وكمالها ونهضتها من القرآن بل إن أهم عامل من عوامل نهضة اللغة العربية وآدابها وجميع فنونها من النثر والشعر هو بحفظ القرآن ومدارسة مفرداته ومعانيه، وهو العامل الأسمى في تطوير ملكة الكتابة وأنماطها عند المبدعين والمشتغلين بها من الشعراء والكتاب، وهو أغنى مادة لشواهد النحو والصرف والبلاغة".[16] لقد أثر القرآن الكريم في هذه اللغة آثاراً كثيرة استنبطها العلماء والباحثون، فمنها– مثلاً–

[16] Shavish, Murad. Fıkıh Kaideleri ile Dil Kaideleri Arasındaki İlişki (Şerhu's-Siyeri'l-Kebîr Adlı Eserdeki Dil ve Fıkıh Kaideleri Özelinde). Asem H. A. (Ed.). Arapça ve Eğitimi. (s.41-63). Konya: Palet Yayınları, 2023.

ما جمعه الباحث النشيط الدكتور محمد يوسف الشربجي– رحمه الله تعالى– وأنا أذكرها هنا باختصار خشية الإطالة لضيق المقام ما عدا الأثر الأول أتناوله بشيء من التفصيل لأهميته . ومن أهم آثار القرآن الكريم في اللغة العربية ما يأتي:

1– المحافظة على اللغة العربية من الضياع: أي الحفاظ على بقائها حية، ولعل السر الكامن وراء بقاء اللغة العربية حية وخالدة حتى الآن، وبقاءها محافظة على نفسها من الاندثار هو القرآن الكريم؛ لأثره البالغ على حياة أهلها، فبعد نزوله عليهم حوّلهم من أمة تائهة إلى أمة في مصاف الأمم المتقدمة والمتحضرة، ونقلهم من أمة متشرذمة إلى أمة قوية عزيزة لها شأنها السياسي، ولها وزنها بين أصحاب الحضارات القديمة، بل أزالت بعضاً منها في غضون بضع سنوات، فكما قال د. أوريل بحر الدين:" صَقَّلَ نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد اللغة العربية، يدافع عنها. فلما كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لا جرم أن المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، واعتبروا كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية، وأن النيل من القرآن هو نيل من اللغة العربية؛ ولذلك فإن بقاء اللغة العربية إلى اليوم وإلى ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن الكريم؛ لأن الدفاع عنه يستتبع الدفاع عنها، بل لأنها السبيل إلى فهمه، ولأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام هو

دين الله، وأن القرآن من عند الله لا من وضع النبي وأصحابه، والقرآن الكريم بحكم أنه لسان الإسلام الناطق ومعجزته الباقية، هو الذي حفظها من الضياع".[17]

بالإضافة إلى أمر آخر قد يكون في غاية الأهمية فلولا القرآن لضاعت اللغة العربية بعد أن ضعف أصحابها، فقد مرت على العرب –وهم أصحاب اللغة العربية– عصورٌ وصلوا خلالها إلى الحضيض، وصاروا أضعف خلق الله على الأرض ولكن بقيت اللغة العربية هي هي، وإن تراجعت قليلاً بسبب محاربة الاستعمار لها وتشجيعهم للعامية وللهجات، وهي إحدى اللغات الرسمية في هيئة الأمم المتحدة، بل تعّدُ اللغة العربية أطول اللغات الحية عمراً بفضل القرآن الكريم، وهي تأتي في المرتبة الرابعة بين مئات اللغات في العالم، وتشير الدراسات إلى أن عدد الناطقين باللغة العربية سيزداد لتصبح اللغة الرابعة بعد الصينية والهندية بحلول سنة 2050م.[18]

2- تقوية اللغة والرقي بها نحو الكمال.

3- توحيد لهجات اللغة العربية وتخليصها من اللهجات القبلية الكثيرة.

4- تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية.

5- تحويل اللغة العربية إلى لغة تعليمية ذات قواعد منضبطة.

6- تهذيب ألفاظ اللغة العربية، ونشوء علم البلاغة.

---

[17] أوربل بحر الدين، دراسة تاريخية عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الاسلامية الحكومية، ملانق، 2014، 11-20.

[18] أحمد وآخرون، أبجد سلسلة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، بروتك، ملاطيا، د، ت، د، ط، 60.

7- وهناك آثار غير ذلك للقرآن الكريم أحدثها في اللغة العربية والأدب العربي، كتنمية ملكة النقد الأدبي، وذلك أن العرب كانت لهم أسواقهم المشهورة، ومعلقاتهم المنظومة، ومبارياتهم المعروفة، فلما نزل القرآن الكريم، ولامس شغاف قلوبهم، ورقت له أحاسيسهم ومشاعرهم، فتغيرت أحكامهم وقوانينهم، فنقلهم من الفصيح إلى الأفصح، ومن الجيد إلى الأجود، ذلك هو القرآن بإعجازه"،[19] ثم جاء من بعده من أضاف على الأثار السابقة أثاراً أخرى مثل:

8- إثراء وتنمية اللغة العربية.[20]

خامساً- البقاء للغة العربية حسب قاعدة البقاء للأصلح:

إذا جاز لنا استخدام هذا المصطلح فيجب علينا اتباع القاعدة التي أوجدها سبنسر بناء على نظرية تشارلز داروين الذي سماها في الحقيقة "بالانتقاء الطبيعي"، وقد ساهم سبنسر في ترسيخ مفهوم الارتقاء، وأعطى له أبعاداً اجتماعية، فيما عرف لاحقا بالداروينية الاجتماعية، وبناء على هذه القاعدة يمكن التساؤل ما هي اللغة التي ستكون الأصلح للبقاء ولماذا؟

وعندما جاء عام 1851روج سبنسر لفكرة التطور والارتقاء وخلال بحثه في نظرية توماس مالتوس، رأى سبنسر في نظرية مالتوس قانوناً عاماً يصلح للبشر كما للحيوانات، حيث تعمل الحروب والكوارث والأوبئة على تصحيح الزيادة السكانية، ومنذ تلك اللحظة

[19] محمد يوسف الشربجي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب- دمشق العدد 90 – السنة 23 – حزيران "يونيو" 2003 – ربيع الآخر، 1424.

[20] أوربل بحر الدين، دراسة تاريخية عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، 13.

فصاعداً اعتبر سبنسر كاتباً مهماً، ووجد تعبير" البقاء للأصلح" رواجاً كبيراً، واهتم بالتطور في العلوم الإنسانية وفى علوم الأحياء، والتاريخ الطبيعي والفيزياء".[21]

اللغات من العلوم الإنسانية، وبناء عليه نتساءل ما هي اللغة التي سيكتب لها البقاء، وستكون الأصلح من بين جميع اللغات الحية؟ ولماذا ستكون الأصلح؟

وهذا الكلام لم يكن ضرباً من الخيال، بل كان حقيقة واقعية وتنبأ بها صامويل هانتنغتون الذي أكد أن الصراع في القرن الواحد والعشرين سيكون صراعاً حضارياً بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وقد أكد على هذا الكلام الباحث محمد جكيب عندما تكلم عن صراع الحضارات بقوله:" علماً بأن الفرضية الأساس التي أطلقها في مقالته الأولى (يقصد هنا صامويل هانتنغتون) سنة 1993م كانت قائمة على مجرد فرضية أن الصراع الدولي أو الصراع بين الدول لن يكون على أساس اقتصادي أو أيديولوجي، ولكنه سيكون على أساس ثقافي وحضاري. وفي إطار هذا الصراع الجديد الذي تنبأ به هانتنغتون، سيتم الإلحاح على أهمية الدين واللغة مدخلا من مداخل الهوية الحضارية والثقافية، وموجها موضوعيا للصراع الحضاري".[22]

وقد أكد صامويل على هذا الكلام في كتابه كثيراً بل حدده بأنه صراع بين حضارة الثقافة الإسلامية وبين حضارات الآخرين فقال:" وعلى المستوى الأكبر أو الكوني السياسة

[21] منصور أحمد، مقال من صاحب مصطلح البقاء للأصلح سبنسر أم داروين؟، موقع تلفزيون اليوم السابع، تاريخ الوصول 2024/5/13.الرابط:
https://www.youm7.com/story/2019/4/27/%D9%85

[22] محمد جكيب، اللغة العربية والنموذج الحضاري المغربي، موقع هسبريس، تاريخ الوصول،2024/5/13.الرابط:
https://www.hespress.com/%D8

العالمية نجد أن الصراع الرئيسي بين الحضارات هو ذلك القائم بين الغرب والباقي، بينما على المستوى الأصغر والمحلي نجد أن الصراع القائم هو صراع بين الإسلام والآخرين".[23]

أما لماذا سيكون البقاء للغة العربية فهذا أيضاً يحتاج إلى توضيح، وللجواب يمكن القول: لأن اللغة العربية تعد من أقوى اللغات الحية اليوم في العالم أدباً وبلاغة وتركيباً ومفرداتٍ بالمقارنة مع غيرها من اللغات التي لها نفس المكانة الأدبية، وإن كانت مكانتها اليوم تتضاءل شيئاً فشيئاً لأسباب عديدة ومن أولها فقدان العرب احترامهم للغتهم، وتصديقهم لما يقال عن لغتهم بأنها لغة صعبة وقاصرة عن الأداء العلمي في العصر الحديث كما يشاع عنها من قِبل المستشرقين، ولكن متى استطاعوا أن يدركوا أن الذين يخططون لتدميرهم مادياً وعسكريا واقتصاديا هم أنفسهم الذين يخططون لتدميرهم معنوياً وروحياً بما يشيعون من الكذب عنهم وعن لغتهم عندها تعود اللغة إلى ما كانت عليه يوم كانت لغة الحضارة والثقافة، ولا يفوتني أن أذكّر هنا أيضاً أن النفوذ الثقافي للغات العالمية التي تفرض نفسها على العالم يسبقه تفوق في النفوذ السياسي والاقتصادي، ولا يخفى أن الصدارة في كل شيء اليوم تابع لهذين المجالين، ومتى اعتز العرب بلغتهم، ورفضوا النظرة الدونية لأنفسهم ولدينهم وللغتهم وناضلوا من أجل الحفاظ على لغتهم ورفضوا نظرة الانتقاص عندها تعود اللغة العربية إلى مكانتها اللائقة بها.

وهذا لا يعني أن يتشاءم أهلها ويأسوا فمادام أن الله تعهد بحفظ كتابه، وكتابه مكتوب باللغة العربية، فاللغة العربية هي الأصلح والأنفع، ومصداق ذلك قوله صلى الله

[23] هنتنجتون، صامويل، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تحقيق: طلعت الشايب، دار السطور، ط،2، 1999م، 293.

عليه وسلم إذ يقول:" لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ".[24] ومن هذا الحديث وكثير من الأحاديث غيره يمكن ترجيح الرأي السابق بأن اللغة العربية هي الأصلح والأنفع فمادام هذا الدين سيدخل كل دار على وجه الأرض فلا بد من أن تكون لغة هذا الدين أيضاً تدخل إلى كل مكان وما ذلك على الله بعزيز.

بالإضافة إلى أنها اللغة الوحيدة التي تفردت بالفصحى، وأن ثراء عباراتها وغزارة ألفاظها وعمق معانيها وسعة مفرداتها جعلتها تتصدر غيرها لتكون لغة يخاطب بها الرب جلال جلاله عباده، وهي اللغة التي تربط السماء بالأرض، فكل هذا أهّلها لتكون لسان أكرم كتاب وأقدس لغة على أكرم خلق الله تعالى ووعاء لأشرف كلام إلى قيام الساعة.

سادساً– ما قاله الأعلام والعظماء في فضل اللغة العربية

تحدَّث أعلامُ الإسلام عن فضل اللغة العربيَّة ومكانتها فقد قال الخليفةُ الرَّاشدُ عمر بن الخطاب:" تعلّموا العربية فإنها تزيد في المروءة، وتعلّموا النسب فربّ رحم مجهولة قد وصلت بنسبها".[25]

ومما روي عنه أيضًا، وقد كان حريصًا على ضبْط اللسان العربي؛ لأنه الوعاء الذي نزل به القرآن، والسبيل الأول إلى فَهْمه فهمًا صحيحًا، واستنباط أحكامه استنباطًا سديدًا– أن الحصين بن أبي الحر، وقيل: أبو موسى الأشعري – أرسل إليه كتابًا، فلحن في حرف

[24] البخاري في "التاريخ" 150/2، والحاكم 430/4، والبيهقي 181/9.

[25] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ، 412.

فيه، فكتب إليه عمر– رضي الله عنه –: أن قنّع كاتبك سوطًا؛ وفي بعض الروايات أمر بعزله".[26]

وقال الإمام الشافعي:" وذلك أن اللسان الذي اختاره الله عز وجل لسان العرب، فأنزل به كتابه العزيز وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأوْلى بأن يكون مرغوباً فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بأعجمية".[27]

بل إن أبا عمرو بن العلاء كان يقول:" لَعِلمُ العربية هو الدين بعينه، فبلغ ذلك عبد الله بن المبارك، فقال: صدق؛ لأني رأيت النصارى قد عبدوا المسيح لجِهْلهم بذلك، قال الله – تعالى – في الإنجيل: ((أنا ولَّدتك من مريم، وأنت نَبِيي))، فحسبوه يقول: أنا ولَدتك، وأنت بُنَيي، بتخفيف اللام، وتقديم الباء، وتعويض الضمة بالفتحة، فكفَروا".[28]

وقال عبد الملك بن مروان:" اللحن في الكلام أقبح من التّفتيق في الثوب، والجدريّ في الوجه. وقيل له لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: شيّبني ارتقاء المنابر وتوقّع اللحن".[29]

---

[26] عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، البيان والتبيين، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، 149.

[27] تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، بيروت: دار عالم الكتب، لبنان، ط7، ١٩٩٩م، 521/1.

[28] شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح، إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، ١٩٩٣م، 10/1.

[29] شهاب الدين أحمد بن محمد بن حبيب بن عبد ربعه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ١٤٠٤هـ،1983، 308/2.

وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية): " ومن أحبَّ العربية عَنِيَ بها وثابر عليها وصرف همَّته إليها ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرُّسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار".[30]

وقال ابن تيميّة رحمه الله:" فإنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميّزون ".[31]

قال مصطفى صادق الرافعي رحمه الله:" ما ذلّت لغة شعبٍ إلاّ ذلّ، ولا انحطّت إلاّ كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يفرض الأجنبيّ المستعمر لغته فرضاً على الأمّة المستعمَرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمته فيها، ويستلحِقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثةً في عملٍ واحدٍ: أمّا الأول فحَبْس لغتهم في لغته سجناً مؤبّداً، وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، وأمّا الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرُهم من بعدها لأمره تَبَعٌ"[32]. نستدل مما سبق من أقوال العلماء والعظماء في

[30] عبد الملك بن محمد بن إسماعيل بن الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح، عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1،(٢٠٠٢)، 15.

[31] ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، 519/1.

[32] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد الرافعي، وحي القلم، دار الكتب العلمية، ط .1 (2000)، 33/3.

حق اللغة العربية ومكانة أهلها دلالة عظيمة على أهمية اللغة العربية ومكانتها وفضلها على سائر اللغات الأخرى.

سابعاً– اللغة العربية إحدى أعظم اللغات المستقبلية في العالم:

بعد أن تبيّن أن البقاء للأصلح من اللغات، وأن اللغة العربية تعرضت للكثير من المحن من قبل الأعداء والاستعمار، ورجعت بعد ضعفها وضعف أهلها مرة ثانية إلى الساحة لتنافس اللغات العالمية الكبرى، وما تم ذكره من الأحاديث التي تدل على أن اللغة العربية لن تترك داراً إلا وستدخله، فهذه كلها أدلة على أنها ستكون إحدى أعظم اللغات إن لم أقل إنها ستسودها كلها، ونستطيع القول أيضاً : بأنها ستكون اللغة الخالدة؛ لأن خلودها نابع من خلود القرآن الكريم، وفي هذا الشأن قال الشيخ محمد يوسف الشربجي– رحمه الله تعالى–:" تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية: من المعروف أن اللغة هي صورة صادقة لحياة الناطقين بها، والعرب قبل نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن يذكر أو موقع بين الأمم آنذاك حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع في جزيرتها فلا تبرح إلا لتعود إليها. وقد ظلوا كذلك، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، فدعا العرب إلى دعوة الآخرين إلى دينهم، ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة..."[33].

[33] الشربجي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة، 9.

الدليل الثاني: ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور نور الدين عتر بقوله: " وقد اتسع انتشار اللغة العربية جداً حتى تغلغلت في الهند والصين وأفغانستان، وحسبنا شاهداً على ذلك ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد مثل البخاري ومسلم، والنسائي، وابن ماجه القزويني، وغيرهم ".[34]

والدليل الثالث: الدليل العقلي الذي نفهمه من كلام الباحث محمد بشير أبو الحجاج عندما يقول:" هناك أمر يجب أن نقطع به على وجه اليقين والجزم وهي أنه ما من لغة في العالم احتفظت بخصائصها اللغوية طوال 1500 عام سوى العربية، ولم يكن ممكناً البتة بأي سبيل لولا نزول القرآن الكريم بها. انظر إلى الإنجليزية في القرن التاسع عشر في مؤلفات ديكنز والصحف الصادرة آنذاك وانظر إلى لغة الصحف والروايات الإنجليزية اليوم، ولن أقول لك ارجع إلى لغة شكسبير في القرن السابع عشر فهي لغة أشبه بالميتة مثل اللاتينية فلا يستطيع أحد أن يفهمها –حتى من أهل بريطانيا– دون قاموس أو تفسير باللغة المعاصرة، هذا الاختلاف الكبير في الإنجليزية على مستوى الحروف والتراكيب يرجع لعدم وجود كتاب سماوي مثل القرآن الكريم يربط خيوط اللغة ويشدها له حتى لا تنفلت، ويرجع كذلك لأن الإنجليزية كان عليها أن تتطور لمواكبة الازدهار البريطاني ومستعمراته التي لا تغيب عنها الشمس وبحكم تطور التقنيات والاختراعات والعلوم الحديثة".[35]

---

[34] الشربجي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة، 9.

[35] محمد بشير أبو الحجاج، هل اللغة العربية هي أفضل لغات العالم، مدونات الجزيرة، تاريخ الوصول،2024/5/13. الرابط:

https://www.aljazeera.net/author/haggagbashir

وهذا دليل عقلي آخر على أنه" لولا القرآن لما أصبحت العربية يومًا ما اللغة الأولى للفكر والثقافة والعلم والأدب ولما تسابق خيرة شباب أوروبا يومًا ما من أجل تعلمها! ".[36]

وممن ذكر ذلك(أوريل) فقال:" لو كان القرآن لم ينزل بالعربية، ماذا كان سيصبح مصيرها؟ لن نقول إنها كانت ستندثر ولكن مصيرها في نهاية الأمر لن يختلف كثيرًا عن لغات أخرى اقتصرت على شعوبها، وبالطبع كانت ستصبح لغة الجزيرة العربية فقط أو مناطق معينة ومن المؤكد أيضًا أن اللغة العربية في الوقت الحالي كانت ستختلف اختلافًا كبيرًا وربما كليًا عن صورتها قبل مائتي عام ناهيك عن ألف سنة..".[37]

ويطرح الأستاذ شحادة الخوري في بحثه" التعريب والمصطلح" سؤالاً وهو: هل لغتنا العربية قادرة على أن تكون لغة معاصرة؟

ويجيب:" من أمعن النظر في اللغة العربية وقارنها باللغات الأخرى، تملكه العجب من فصاحة مفرداتها وعذوبة ألفاظها، وجزالة تراكيبها، ورقة عباراتها، وقدرتها على التعبير والتوليد وقابليتها للنماء والتطور، وحسبها أن تكون لغة القرآن الكريم بجلال معانيه، وبلاغة بيانه، وهو الذي زادها غنى ووسع لها في الأرض امتداداً، وفي الزمان بقاءً، ثم استطاعت أن تكون وعاء المعرفة البشرية قروناً متطاولة، ولا يشك في أنها قادرة على أن تكون لغة المستقبل بعلومه وآدابه وفنونه، محتفظة بعالميتها التي اكتسبتها منذ خمسة عشر قرناً إلى آخر الزمان".[38]

---

[36] أبو الحجاج، هل اللغة العربية هي أفضل لغات العالم، تاريخ الوصول،2024/5/13. الرابط:
https://www.aljazeera.net/author/haggagbashir

[37] أوريل، دراسة تاريخية عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، 13.

[38] مجلة مجمع اللغة العربية، عدد:73، 799/4.

ثامناً– الدراسات والإحصائيات التي تؤكد مستقبلية اللغة العربية:

1– في اليوم العالمي الثامن عشر للغة العربية نشرت جريدة أكاديمية في دولة كويت وتحت عنوان [دراسة اللغة العربية هي الأكبر مقارنة بين اللغات!!]، والتي تجعل منها أكثر لغة من حيث عدد الكلمات في العالم، وذلك حسب دراسة أجريت بالمقارنة مع لغات حية أخرى، وهي الإنجليزية والفرنسية والروسية، ويبين هذا الجدول نتيجة تلك الدراسة، كالتالي:

اللغة	عدد الكلمات	الملاحظات
العربية	13.302.912	عدد كلمات اللغة العربية من غير تكرار
الإنكليزية	6000.000	عدد كلمات اللغة الانكليزية تبعاً لأكبر المعاجم المتوفرة لها
الفرنسية	150.000	عدد كلمات اللغة الفرنسية تبعاً لأكبر المعاجم المتوفرة لها
الروسية	130.000	عدد كلمات اللغة الروسية تبعاً لأكبر المعاجم المتوفرة لها

وعند المقارنة بين اللغات المذكورة واللغة العربية، نجد أن عدد مفردات اللغة العربية تعادل 25 ضعفا من مفردات اللغة الانجليزية".[39]

2– حسب دراسة أخرى نشرت قناة BBC عربي استبياناً وتحت العنوان التالي: (هل تمثل اللغة العربية عائقاً أمام التقدم العلمي للعرب؟ " قال الكاتب والصحافي البريطاني الشهير روبرت فيسك في مقالة له أن أحد أسباب "تراجع العرب عن تفوقهم العلمي" هو

[39] جريدة أكاديميا، في دولة كويت، دراسة اللغة العربية هي الأكبر مقارنة بين اللغات، تاريخ الوصول،2024/5/13م. الرابط:

https://acakuw.com/archives/134297

اللغة العربية. وتساءل فيسك في مقالته في صحيفة الاندبندنت تحت عنوان (هل يتعثر تقدم العرب بسبب لغتهم المتحجرة؟) عما إذا كان السبب يعود الى اختلاف اللغة التي يتكلم بها العرب واللغة التي يكتبونها.

وذكر الكاتب نظريات لمفكرين وإعلاميين عرب تطرقوا إلى هذا الموضوع كالإعلامي حسن الكرمي الذي رأى أن العرب- يواجهون في أغلب الاحيان قصوراً من حيث الدقة في التعبير عن أفكارهم بسبب تعلمهم اللغة العامية قبل تعلم الفصحى والتي ترتقي الى أسلوب الكتابة الأكثر دقة.

وأثارت مقالة فيسك جدلاً حول العلاقة بين تقدم العرب واللغة العربية، التي تعتبر أحد أعمدة التراث العربي.

ويرى البعض أن جمود اللغة العربية و"تحجرها" حسب وصف فيسك لا يسمح بتطورها وبمواكبة العصر وهذا ما يعرقل تقدم العرب.

بينما يرى آخرون إن ثراء اللغة العربية في الكلمات ومعانيها يعطي مجالاً أوسع للإبداع الادبي والفكري، وأن أي تعثر في التقدم العلمي لدى العرب له مسببات أخرى، وأن عدم تطور اللغة العربية يرجع إلى ضعف مساهمة العرب في التطور العلمي ولا علاقة للغة بذلك".[40]

وأنا أقول: لا توجد علاقة بين اللغة العربية والتقدم العلمي أبداً؛ لأن تقدم أي لغة في العالم وتأثيرها على الآخرين لا يعتمد على اللغة نفسها إنما يعتمد على أهلها وعلى

[40] قناةBBC ،هل تمثل اللغة العربية "عائقاً" امام التقدم العلمي للعرب؟ كانون الثاني/ يناير 2013، الرابط الآتي: https://bit.ly/3y7aSpU

مصدر قوتهم، فاللغة العربية بقيت أكثر من عشرة قرون هي لغة الحضارة والعلم والمعرفة عندما كان المسلمون يداً واحداً متمسكين ببعضهم وبلغتهم، وكانوا أصحاب القرار لأنفسهم ولمن حولهم، واليوم عندما ذهبت ريحهم، وضعفوا ذهبت لغتهم أيضاً.

تاسعاً– دور القرآن الكريم في اللغة العربية:

لا يشك أحد في أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للغة العربية ولجميع العلوم الإسلامية التي انتشرت بين العرب والعالم، ولولا القرآن الكريم لما وصلت اللغة العربية إلى ما وصلت إليه لارتباط اللّغة العربيّة بالدّين الإسلامي ارتباطًا وثيقًا، وهذا ما جعلها لغة خالدة وعظيمة، وقد صدق الله القائل: ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون﴾ سورة الحجر، الآية:9، فهذا وعد من الله تعالى بحفظ اللّغة العربيّة من الاندثار والضياع، وهل هناك وعد وعهد نثق به أكثر من وعد الله وعده!

وبما أن الله تعالى اختيارها لتكون لغة آخر الأديان والرسل، وبما أنه لا نبي ولا رسول بعد هذا النبي والرسول، ففي النتيجة إذن لا لغة ولا بيان بعد اللغة العربية.[41]

بالإضافة إلى أنها لغة أهل الجنة، يقول الرسول الكريم– صلى الله عليه وسلم– عن مكانة اللّغة العربيّة:" أحبّ اللّغة العربيّة لثلاث: لأنّي عربيّ، والقرآن عربيّ، وكلام أهلّ الجنّة عربيّ"[42]. فإذا كانت لغة أهل الجنة ستكون عربياً فإذاً لا بد أن تكون أخر لغة على وجه الأرض.

[41] Cemil Küçük, Kur'ân Ve Kiraatlerin Kaynağı, Vankulu Sosyal Araştırmalar Dergisi (VASAD), Sayı,1, (Nisan 2018) s, 207-278 https://www.islam4u.com/ar/almojib

[42] سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط،185/11.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة في دراسة موضوع القرآن الكريم ودوره في عالمية اللغة العربية، فقد توصل البحث إلى عدة نتائج مهمة منها ما يلي:

- إنّ معنى القرآن هو الجمع؛ لأنه يجمع بين دفتيه القصص والأوامر والنواهي والعبر والأخلاق وما إلى ذلك...، وهو اسم لكتاب الله السماوي الذي نزل على رسول الله محمد بن عبد الله- صلى الله عليه وسلم- مثل التوراة والإنجيل.

- علينا ألا نخاف على اللغة العربية ومصيرها في المستقبل؛ لأن الله تعالى تكفل بحفظها إلى قيام الساعة.

- إن القرآن الكريم أنزل باللغة العربية وقد صرح الله تعالى في أكثر من موضع أن القرآن أُنزل باللغة العربية ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[سورة يوسف:2]، وقوله:﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[سورة الزمر:28].

- يجب أن يعلم الجميع وخاصة المشككين وأتباعهم من الملاحدة والعلمانيين وأذيال المستشرقين لماذا نزل القرآن الكريم باللغة العربية؟!

- التاريخ يشهد والغرب يشهدون أن اللغة العربية هي التي حملت النور إلى أوروبا، فكانت أساس الحضارة الغربية الحديثة التي يتباهون بها اليوم.

- إن السر الكامن وراء بقاء اللغة العربية حية وخالدة حتى الآن، وبقاءها محافظة على نفسها من الاندثار هو القرآن الكريم؛ لأثره البالغ على حياة أهلها.

- إن اللغة العربية تعد من أقوى اللغات الحية اليوم في العالم أدباً وبلاغة وتركيباً ومفرداتٍ بالمقارنة مع غيرها من اللغات التي لها نفس المكانة الأدبية.

المصادر والمراجع

أحمد بن زكريا بن فارس القزويني الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة محمد علي بيضون، ط،1، 1997م.

أحمد نتوف وآخرون، أبجد سلسلة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، بروتك، ملاطيا، بد، ت، بد، ط.

الأزهري، إسلام بن نصر، لماذا نزل القرآن باللغة العربية؟، موقع الألوكة الأدبية واللغوية، تاريخ الوصول، 2024/5/13 م. الرابط:

/https://www.alukah.net/authors/view/home/6314

أوربل بحر الدين، دراسة تاريخية عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الاسلامية الحكومية، ملانق، 2014.

تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، بيروت: دار عالم الكتب، لبنان، ط7، ١٩٩٩م.

جريدة أكاديميا، في دولة كويت، دراسة اللغة العربية هي الأكبر مقارنة بين اللغات، تاريخ الوصول،2024/5/13م. الرابط:

https://acakuw.com/archives/134297

حمد بشير أبو الحجاج، هل اللغة العربية هي أفضل لغات العالم، مدونات الجزيرة، تاريخ الوصول،2024/5/13. الرابط:

https://www.aljazeera.net/author/haggagbashir

شهاب الدين أحمد بن محمد بن حبيب بن عبد ربعه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ١٤٠٤هـ، 1983.

شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح، إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، ١٩٩٣م.

صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تحقيق: طلعت الشايب، دار السطور، ط،2، 1999م.

عبد الرحمن رأفت باشا، العدوان على العربية عدوان على القرآن، دار الأدب الإسلامي، 1996.

محمد يوسف الشربجي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب– دمشق العدد 90 – السنة 23 – حزيران "يونيو" 2003م.

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل بن الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح، عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1، 2002م.

عثمان أبو الفتوح بن جني الموصلي، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، بد، ت.

علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق، جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٩٨٣م.

عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، البيان والتبيين، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

فرج، أحمد طه، مقال تحت عنوان، لماذا أنزل الله القرآن باللغة العربية؟، موقع الروافد البوابة الالكترونية، تاريخ الوصول، 13/5/ 2024.
https://www.alwafd.news/2961444#google_vignette/

الكرباسي، الشيخ محمد صالح، لماذا نزل القرآن الكريم باللغة العربية، موقع مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية، تاريخ الوصول، 2024/5/13.
http://104.199.16.12/ar/authors/%D8%A7%

الكومي، علي، لهذه الأسباب نزل القرآن الكريم باللغة العربية، موقع AMROHAAL، تاريخ الوصول، 2024/5/13م. الرابط:
https://amrkhaled.net/Story/1004612

محمد بشير أبو الحجاج، هل اللغة العربية هي أفضل لغات العالم، مدونات الجزيرة، تاريخ الوصول،2024/5/13. الرابط
https://www.aljazeera.net/author/haggagbashir

محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، تحقيق، اليازجي وجماعة من اللغويين، بيروت: دار صادر، ط3، ١٤١٤ هـ.

محمد جكيب، اللغة العربية والنموذج الحضاري المغربي، موقع هسبريس، تاريخ الوصول،2024/5/13.الرابط:

https://www.hespress.com/%D8

محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دمشق: دار الفكر، ط: 38، 2015م.

محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، د، ت.

مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد الرافعي، وحي القلم، دار الكتب العلمية، ط .1، 2000م.

منصور أحمد، مقال من صاحب مصطلح البقاء للأصلح سبنسر أم داروين؟، موقع تلفزيون اليوم السابع، تاريخ الوصول 2024/5/13. الرابط:

https://www.youm7.com/story/2019/4/27/%D9%85

موقع قناة بي بي سيBBC ، مقال بعنوان هل تمثل اللغة العربية عائقاً للتقدم العلمي للعرب؟ تاريخ الوصول، 2024/5/12م.الرابط:

https://www.bbc.com/arabic/interactivity/2013/01/130102_comments_robert_fisk

Küçük, Cemil. “Kur'ân ve Kıraatlerin Kaynağı”. Vankulu Sosyal Araştırmalar Dergisi (VASAD) Sayı 1, (Nisan 2018) s, 207-278. https://www.islam4u.com/ar/almojib

MURAD, Shavish. "Fıkıh Kaideleri ile Dil Kaideleri Arasındaki İlişki (Şerhu’s-Siyeri’l-Kebîr Adlı Eserdeki Dil ve Fıkıh Kaideleri Özelinde)." In ARAPÇA VE EĞİTİMİ , 41-64. Konya: Palet Yayınları, 2023